بسكوت العلبة

رواية

عصام حشمت

دار حروف منثورة للنشر الإليكترونى

نوع العمل: رواية

اسم العمل: بسكوت العلبة

اسم المؤلف: عصام حشمت

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

الطبعة: الأولى

تصميم الغلاف : فريق الدار

تنسيق داخلي: فريق الدار

تدقيق لغوى: بمعرفة الكاتب

مؤسس الدار

مروان محمد

Website: https://horofpdf.wixsite.com/ebook

Fan page: http://facebook.com/herufmansoura

Email: herufmansoura٢٠١١@gmail.com

دار حروف منثورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر الالكتروني المجاني ولا تتحمل أي مسئولية اتجاه المحتوى الذي يتحمل مسئوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما يشاء

رواية

بسكوت العلبة

عصام حشمت

* يا مَنْ حوى ورد الريـاض بخـده

و حكى قضيب الخيـزران بقـده

*دع عنك ذا السيف الذي جردته

عيناك أمضى من مضار بحده

موشحات أندلسية

الى زميلتى الجميلة ونحن صغار فى المرحلة الإبتدائية والتى لا أتذكر إسمها ولكن لقبها كان.... ميلاد فقد كانت من أسرة مصرية قبطية وكانت خجولة وتتعثر الكلمات بفمها عندما تنطق ولكنها كانت أول من أيقظت مداركى ناحية الفتيات، فكانت بيضاء فارهه تفوق فى قامتها مثيلاتها من الفتيات وملامح وجهها جميلة فاتنة مثل ألهه الأوليمب وتعقد شعرها مثل ذيل حصان، ذات يوم وَقَفَت أمام معلمة الفصل لتجاوب على أحد الأسئلة فلم تستطيع ربما كانت لا تعرف الإجابة وربما تلعثمت كلماتها ولم تخرج، ولست أدرى لماذا وجهت لها المعلمة لوماً شديداً مهيناً، شابت الحمرة وجهها وجلست وعيناها مغرورقة بالدموع، أردت أن أربت على يدها وأواسيها ولكنى لم أفعل فقد كنت خجولاً وأتلعثم فى الكلام مثلها، كَرِهّت تلك المعلمة بعد ذلك وإِنْتَظَرّت طويلاً أن تعود زميلتى ولكنها لم تعد فقد غادرت المدرسة، طول عمرى تمنيت أن أقابلها ولو مصادفة والذى لم يحدث أبداً.

زميلتى الصغيرة أتذكرك دائماً عندما أرى أى فتاة جميلة وإليك أهدى الرواية.

أجلس دوماً أمام النافذة أجتر الذكريات وأستعيد حلو الأيام ومُرَّها بعد أن وَلّى ربيع العمر ووهن العظم.

أتذكر الأيام والأشخاص، الآمال والأحلام، الصغيرة منها والكبيرة، التى تحقق منها والتى ذهبت أدراج الرياح وأتذكر ما عانيته من آلام، صبرت على بعضها ولم أتحمل البعض الآخر.

تراودنى بعض الذكريات السعيدة والمؤلمة، أنفجر ضاحكاً على البعض منها ويوجعنى تذكر الآخرى.

وأتذكر أيامى الآولى، هناك بالحى القديم (السيدة زينب) والتى يحلو لزوج شقيقتى الكبرى أن يسميه (الحى اللاتينى) أسوة بالحى الفرنسى القديم بباريس.

أتذكر البراءة والنقاء، الأحداث والناس، من كان منهم أفندى كما كنا نقول ويرتدى الطربوش الأحمر أو يرتدى الجلباب، غنياً كان أم فقيراً.

أتذكر أترابى من أبناء وبنات الجيران، البائعون الجوالون وطعم الثمار الذى إختفى بعضها ولم نعد نراها مثل ثمرة الجميز والنبق، ربما تكون مازالت تباع فى الريف أو بلدات الأقاليم ولكنها إختفت من المدينة، التى إبتلعت بجوفها البراءة والنقاء وعم الفساد وقيم الفهلوة والشطارة وساد الطمع فأصبح الناس يشعرون بالوحدة رغم زيادة أعدادهم وإزياد الزحام، وكما يقول الشاعر عبد المعطى حجازى فى قصيدتة (لا أحد) التى تجسم حجم الوحدة التى يشعر بها الناس فيقول (....هذا الزحام لا أحد).

ولا أعرف لماذا تذكرت بائع الجيلاتى الهَرِم (عَمْ شعبان) وملابسه البيضاء النظيفة دائماً ونكهات وألوان الجيلاتى المختلفة (ليمون وبرتقال وفانيليا وشيكولاتة) والتى لم أذق مثلها أبداً فيما بعد، و(عَمْ محروس) بائع بسكوت العلبة الذى أمتعنا بحلواه ونحن صغار وكان له طقوس تخصه هو فقط..

كانت صديقتى بسمة إبنة الجيران ونحن صغار شغوفة ببسكوت العلبة وحَرِصّتُ أن أستقطع بعضاً من مصروفى لأشترى البسكوت وأعطيها بعضاً منه عندما أراها أو عندما نجلس معاً بسطح المنزل

نتسامر بحكاياتى المثيرة كما تقول وأستمتع بنظرة البراءة التى تجتاح وجهها وأنا أحكى.

إعتدنا مرورعم محروس يومياً قبل غروب الشمس وكأن الدنيا يوم خلقها الله عز وجل كان بها عم محروس.

كان يأتى حاملاً صندوق من الصفيح إسطوانى الشكل مربوط فية حبل حتى يستطيع حمله على كتفه الواهن وعندما يصل الى ناصية الشارع يتوقف ويضع الصندوق على الأرض ويفتح كرسيه الخشبى الذى ينطوى مثل الذى يجلس عليه المصطافون على الشاطىء، ثم يرفع بوقاً من الصفيح ويطلق صوتاً حفظناها كلنا وكأنه جندى يطلق نوبة صحيان لزملائه بالمعسكر.

وما هى إلا لحظات حتى يتجمع الأولاد الصغار والفتيات الصغيرات حول الصندوق ليبتاعوا بسكوتاً هشاً، مثل الذى يعبأ فيه الجيلاتى ولكنه أكثر هشاشه وألذ طعماً ويذوب فى الفم وذا ألواناً جميلة وعلى أشكال متعددة (عصى.. وقراطيس..).

ثم يغادر بعد فترة كما جاء غير عابىء بما حفره فى ذاكرتنا من شجن وذكريات سعيدة.

فجأة تغيب عم محروس عن الحضور الى شارعنا لفترة طويلة ولم نعرف السبب حتى كدنا ننساه ورغم إننا كنا نبتاع بسكوت العلبة من بائع آخر قريب من الميدان ولكن طعمه لم يكن أبداً مثل بسكوت عم محروس.

ذات يوم وكنت أجلس بغرفتى أطالع إحدى الروايات العالمية المترجمة والتى كانت تباع أيامنا بثمن زهيد، سمعت صافرة آتية من الشارع ولما نظرت من النافذة، كان عم محروس بجلبابه الأزرق الكالح، يلف رأسه بخرقة مهلهلة.

هرولت الى الشارع وكان قد وضع الصندوق وجلس على المقعد، نظرت إليه وقلت :

- أين كنت يا عم محروس كل تلك الفترة ؟ فقال بصوت واهن:
- أقعدنى المرض يا بنى.
- ومما كنت تشكو؟
- آلام مبرحة بكل جسدى ولا أعلم سببها.
- ولماذا لم تذهب للمستشفى ؟

- لما زاد الألم ذهبت الى المستشفى الميرى وفحصنى أحد الاطباء ثم صرفوا لى مزيجاً يُدْعَى (راوند وصودا) كان يضعون كمية كبيرة منه فى دلواً ويصرفونه لكل المرضى مهما كان نوع مرضهم وكأنه ترياق لكل مرض.
- وهل تناولته؟
- كان طعمه (ولا تؤاخذنى) يا بنى مثل بول الحمار فلم أستسيغه وفضلت أقراص الأسبرين لتخفف الآلام.
- ولماذا لم تذهب لطبيب آخر؟
- أنا أجد ثمن الطعام يا بنى بشق الأنفس فمن أين لى ثمن كشف الطبيب والدواء.
- هل معك بسكوت أم (جَبَرّت)؟
- معى يابنى، بِكَم تريد؟
- بِكَم كل ما تبقى معك من بسكوت؟
- حوالى خمس جنيهات.
- إنتظر دقيقة وسوف أعود سريعاً.

هرولت الى بيتنا وحطمت حصالة نقودى الفخار فوجدت بها عشرون جنيهاً، أعطيته كل النقود وأخذت كل البسكوت وقسمته على قسمين قسم لى ولإخوتى وقسم آخر حجزته لبسمة.

وأتذكر الآن عندما أعطيتها البسكوت، قفزت فَرِحَة وكسى وجهها إبتسامة رائعة وكأنها عثرت على مصباح علاء الدين.

وكانت هذه آخر مرة أرى فيها عم محروس.

*****

إسمى حمزة وأعيش مع أسرتى بشقه فى بيت قديم بحى السيدة زينب، ولنا ورشة نجارة ملك والدى بذات العقار وخالى لم يتزوج ويقيم فى بيت آخر بمفرده ويملك ورشة نجارة أيضاً أسفل منزله ولى شقيقتان أصغر منى عمراً ووالدتى سيدة منزل.

خلال الأجازة الصيفية وفى بعض الأحيان عندما يزيد العمل على والدى كنت أساعده فى الورشة،أتعلم منة أسرار مهنة النجارة ومن ناحية أخرى أحصد من عملى معه بعض النقود لكى أبتاع ما أحتاجه من ملابس وغيرها أثناء العام الدراسى.

كل الصبيان من الحى أصدقائى تقريباً والأجازة الصيفية تكون جنتنا الضائعة ففيها نلعب كرة القدم أو نذهب الى حديقة منطقة قلعة الكبش نقطف ثمار التوت والنبق وعنب الديب ونتأرجح على الأشجار ونعود عند غروب الشمس، أو نذهب لنشاهد فيلم بأحد سينمات الدرجة الثالثة.

عقارنا قديم فقد تم بناءه منذ أكثر من مائة وخمسين عاماً ويتكون من ثلاث طوبق ، درج السلم متآكل من كثرة إستخدامه عبر كل تلك السنوات، ودرابزين السلم من الخشب مخلخل ويهتز حين يصعد أحد السكان.

بالعقار بدروم قامت صاحبة المنزل بتأجيره الى أحد المحال يستخدم كمخزن لتخزين بضاعة محل بقالة غير بعيدة والبدروم شبة مغلق فى أكثر الأوقات، أما سطح العمارة فواسع ويطل من ناحية على الشارع أمام العقار ومن الناحيتين الأخريين بيتين مجاورين لنا.

أحد البيوت المجاورة بنى فيها أحد السكان (غِيّة) للحمام وعادة ما كان صاحب الغية يطلق الحمام فى فترة ما بعد الظهيرة، فيطير فوق البيوت فى أسراب جميلة ونظراً لأن لم يكن لدى أحد من السكان

هاتف فى هذا الوقت فكان هذا الرجل عندما يسافر الى عمل فى الصعيد يصطحب معه قفص صغير به حمامتين من النوع الزاجل ويطلقهما عندما يصل الى بلدته فتعود الحمامتان الى منزله حاملة بقدميها رسالة صغيرة تبلغ أهله بوصوله.

كان هذا يثير خيالنا الى حد بعيد ونسأل أنفسنا :كيف لكائن صغير أن يكون بمثل هذا الذكاء والفطنة ولو ذهب أحد الصغار بضعة خطوات بعيداً عن بيته لضل ولم يستطيع العودة.

كان يسكن معنا بالدور الأرضى للبيت (عم صالح) ويعمل بصالون حلاقة وزوجته سيدة منزل وله ثلاث فتيات ويسكن، الدور الثانى صاحبة العقار وهى سيدة بيضاء ملامحها طيبة ولها إبتسامة مرحبة وتعطف كثيراً على الأطفال الصغار ودائماً ماكانت توزع علينا الحلوى والفطائر المصنوعة منزلياً ونحن نلعب على سطح العقار، تعدت ربيع العمر وتعيش وحيدة بعد أن مات زوجها وتزوج بناتها وأولادها وغادروا المنزل، ونسكن نحن فى الدور الأول بعد الأرضى.

كنا ونحن صغار نخجل من اللعب مع الفتيات،فكنا ننظر لأنفسنا كرجال لهم إهتمامات خشنة مثل كرة القدم واللعب بالنحلات الخشبية وألعاب أخرى.

كنت أنا مثلهم لا أحبذ اللعب مع الفتيات بالعرائس وما الى ذلك من ألعاب البنات، ولكن كان لى صديقة واحدة أعتز جداً بصداقتها وهى (بسمة) إبنة عم صالح.

بسمة كانت فى العاشرة من العمر وكنت أنا فى الثالثة عشر عندما أصبحنا اصدقاء وسبب صداقتنا أننى وجدتها ذات يوم تجلس على درج البيت تبكى، أشفقت عليها وسألتها:

- لماذا تبكين يا بسمة؟ فقالت :
- كان معى كرة و تدحرجت وإختفت فى بدروم المنزل، فقلت لها ضاحكاً :
- ولماذا لم تأتى بها ؟
- البدروم مظلم وأخاف من الظلام، ضحكت وأحضرت لها الكرة إبتسمت إبتسامة صافية وطبعت قبلة صغيرة على وجنتى

وجلسنا معاً على الدرج أقص عليها قصة حكاها لى والدى وزدت عليها ما أريد من خيالى .

كانت تستمع مندهشة وتضحك سعيدة أثناء حديثى فيشع من وجهها نور.

بسمة كانت جميلة ورقيقة ونظيفة دائماً مثل نجوم السينما التى أراهم على شاشة السينما ولكن بحجم أصغر.

أحببت التواجد معها وحكاياتى لها والتى كنت أنسج بعضها من خيالى ودائماً ما كنت أوفر جزء يسير من مصروفى لأبتاع لها بسكوت العلبة الذى كانت تحبه حتى أشاهد إبتسامتها الساحرة التى تضىء وجهها، كما كنت أحذر رفقائى الصغار من مضايقتها وخاصة إبن أحد الجيران ويدعى توفيق وكان بدين الجسم ويعشق الطعام فكنت أرشوه ببعض الفطائر حتى لا يزعجها.

كانت جلساتى وحديثى إليها فى هذا العمر ممتعة الى أقصى درجة وخاصة أنى كنت أمارس مهنه التأليف الشفوى المبكر أثناء قصصى التى كنت أرويها لها وأسعد جداً حين تستمتع بها.

ذات مرة وفى حديثى مع إبن أحد الجيران سألنى :

- أراك تجلس مع بسمة وتطيل الحديث معها وهى جميلة فهل سبق وقَبَّلْتَها؟
- لا لم أُقَبِلَها.
- لماذا فهى جميلة وكلنا نتمنى أن نُقَبِلَها !
- لأنها إبنة عم صالح جارنا ولا أحب أن أؤذي مشاعرها.
- وكيف تعلم فربما تتمنى هى ذلك.

ظلت كلماته ترن فى أذنى وأنا أجلس معها ولكن كلما هَمَمّتُ بأن أقبلها ونظرت الى وجهها الجميل البرىء وثقتها التى منحتها إياى وحبها لى، أتراجع حتى طردت تلك الفكرة الخبيثة من رأسى.

وتوفيق هذا منذ صغره وهوشغوف بالفتيات وشغفه هذا كان يؤدى به الى مواقف غريبه وصعبة كنا نتندر عليها فيما بعد لمدة طويلة.

عندما أنهينا المرحلة الإعدادية وإنتقلنا الى المدارس الثانوية، كانت توجد فتاة جميلة تدعى (عفت) وكانت ممتلئة الجسد مثل توفيق ومثار إعجاب المجموعة أيضاً فظن توفيق بأنها سوف تتعاطف معه وتحبه نظراً لتآخيهما فى الشكل والجسم.

وذات مرة تناول قرصاً من حبوب الشجاعة وسار وراء عفت يلقى فى أذنيها ما لذ وطاب من كلمات الغزل العفيف ونصف العفيف وسارت هى أمامه ترتدى بقدمها شبشب وتتمايل متباهية بجسدها البدين، وماهى غير لحظة حتى إلتفتت وخلعت (الشبشب) ونزلت على رأس توفيق تذيقه من الضربات الموجعة على رأسه ما يستحق، حاول الإفلات من بين براثنها حتى نجح أخيراً فى الفرار.

لسوء حظه التعس كان أحد أفراد المجموعة يبتاع شيئاً من أحد المحال بنفس المنطقة فشاهد الواقعة وعاد مسرعاً ليخطر الجميع بما حدث، من يومها وأصبح الأسم الكودى لتوفيق هو (شبشب عفت) حتى غادرت عائلتة الحى.

وكثيراً ما كانت تحاك المقالب الكوميدية للبعض الذى يتمتع بالسذاجة ومنهم (مصطفى) وكان طويلاً ويفوق طولة عدد إثنين من الرفقاء لو وقفوا فوق بعضهما، ورغم أنه لم يكن موهوباً فى كرة القدم ولكنه كان يفرض علينا وجوده ضمن تشكيل الفريق نظراً لأنه يمتلك كرة جديدة إبتاعها له أبيه ويعطيها لنا بدلاً من كرتنا المصنوعة من جورب ممزق بشرط وجوده فى التشكيل.

عندما فقد حسن الجناينى (وهو أحد أعضاء فريق الكرة) صبره على إضاعه مصطفى كثير من الأهداف، صنع كرة أخرى من شراب أخر ووضع داخلها حفنه من الزلط بدلاً من الورق أو قطع الأسفنج.

وعندما خرج مصطفى من منزله وهم بأن ينضم إلينا، نادى عليه حسن ورمى إليه بالكرة قائلاً له : مصطف (هدف بالرأس)، إستقبل مصطفى الكرة وكأنه صالح سليم لاعب النادى الأهلى الشهير حتى يُرينا مهارته ورطمها برأسه وماهى غير لحظة وسمعنا صراخه وسقط على الأرض ممسكاً برأسه التى ظهر بها مجموعة من الثآليل وفر حسن من المكان، ومن يومها كان الأسم الكودى لمصطفى هو (قلقاسة)، نظراً لوجود ثآليل برأسه نتيجة إصطدام الكرة بها وأصبحت رأسه تشبه ثمرة القلقاس.

حسن الجناينى هذا كان ممتلىء شقاوة وخفة دم كادت فى بعض الأحيان أن تصنع له ولنا كثير من المشاكل.

وأتذكر عندما صنع سلاحه الرهيب وهو مقلاعه الشهير وهو نبل مصنوع من القماش أو الجلد توضع به زلطة أو حجر صغير ونلوح به فى الهواء قبل إلقاءة على المتعاركين معنا.

خرج إلينا به لأول مرة متباهياً، وقال أتحبون أن أجربه فقلنا نعم ، وضع به زلطة مستديرة كبيرة وطوح المقلاع بيده ثم رمى، لم نرى أين ذهبت الزلطة ولكن بعد ثوان سمعنا صوت أرتطام رهيب، فقد إرتطمت الزلطة بزجاج إحدى النوافذ فسقط مهشماً، فررنا سريعاً من المكان ونال حسن يومها علقة ساخنة من أبيه.

وكان حى البغالة بالسيدة زينب الذى كنا نقطن فيه فى صراع كروى مع حى قلعة الكبش على من له الزعامة فى كرة القدم وكانت تجرى بيننا المباريات وبعدها سواء فزنا نحن أم فازوا هم، نتعارك فيما بيننا ونظراً لوجود حى قلعة الكبش على رابية عالية فكنا نستخدم المقاليع فى معاركنا معهم .

وذات يوم دارت بيننا وبينهم معركة بعد أحد المباريات والتى هزمناهم فيها هزيمة ثقيلة، إرتقوا الربوة وبدأوا فى إلقاء الحجارة الكثيفة علينا.

دخل حسن مسرعاً الى منزلة وأتى بسلاحه وهو مقلاعه الشهير وإقترب بشجاعة من الفريق الآخر المعتلى الربوة وسط تحية وتشجيع الباقين، وما هى غير لحظات وجاءت إليه زلطة مستديرة

شجت رأسه وإنتفخ مكانها وظهر برأسه ثؤلول أكبر من الذى حدث لمصطفى،دخل باكياً الى البيت يعالج رأسه الجريح نتيجة المعركة.

وعندما فقد أبيه صبره من تكرار حوادث المقلاع صادر سلاحه أو مقلاعه الشهير فلم نراه بيده بعد ذلك.

*****

الناس فى عقارنا ومن حولنا فى الحى رغم بساطة ورقة حالهم لكنهم كانوا متدينين تديناً صحيحاً وليسوا مثل مدعى التدين من المتأسلمين الذين لا يرى الناس منهم سوى الأذى من التفجير والقتل والإكراه فى الدين والعبوس يملأ وحوههم بل متصالحون مع الحياة، يتكافلون فيما بينهم عندما تلم بأحدهم ملمة أو يمر بمشكلة ويلقون النصيحة من القلب للعاصى ويدعون له بالهداية ولم يكونوا أبداً أوصياء على الدين ولا على الناس.

حدث ذات مرة وقبل دخولى المدرسة الإبتدائية كنت أنظر من النافذة بجانب جدتى، شاهدنا فارس وهو ولد فى التاسعة من العمر، نجل سيدة مات زوجها منذ عدة شهور، كان يلعب فى الشارع بمفرده

يركل طوب الشارع وهو يسير بينما كل الأطفال مثلة بالمدرسة ، سألته جدتى :

- لماذا لم تذهب الى المدرسة يا فارس

فقال :

- يا نينة تقول أمى عندما نجد طعام أولاً فسوف تذهب الى المدرسة.

وضعت جدتى ملابسها عليها سريعاً وتوجهنا الى بيت والدته وكانت تدعى زينب فقالت والدتى معاتبة إياها :

- لماذا يا زينب لا يذهب ولدك الى المدرسة، أتريدين القضاء على مستقبله، بكت السيدة وقالت :
- اليوم هو مريض يا نينة ولكن لن يذهب بعد ذلك فلا نجد ثمن الطعام، فمن أين أجد ثمن ملابس المدرسة والحذاء وأدوات الكتابة، وقد مات زوجى وترك لى طفلتان صغيرتان مع فارس وإجراءات صرف المعاش تحتاج الى أكثر من ثمانية شهور

على الأقل ثم يتم صرف المعاش الذى لن يغنى من جوع فماذا أفعل فقالت والدتى نعم ولكن إنتظرى.

مررنا على أهل الحى كلهم وكانت تشرح لهم ظروف زينب المالية وما تمر به.

تعاطف الكثير منهم مع زينب وجمعت جدتى من كل منهم ما يستطيع وعدنا لزينب وسلمتها النقود موصية إياها بالحرص على تعليم فارس فهو من سيقوم بتغيير حياتهم الى الأفضل لوتعلم.

شكرتها زينب وغادرنا الى بيتنا.

وكان نظام (الجمعيات) كما يسمونه هو نظام تكافل إجتماعى ناجح وهو أن يتفق مجموعة من سيدات البيوت على تسديد مبلغ شهرى لواحدة منهن يثقون فيها ويتسلم كل منهن مجموع ما تم جمعه كل شهر بدور يتفقون عليه مسبقاً حتى تنتهى الأشهر بعدد المشتركات وهو ما كان يفرج كرب كثير من الناس عند زواج فتاة أو فى بداية دخول أطفالهم المدارس.

وما زال هذا النظام معمول به فى بعض الأوساط الشعبية.

سيدة أخرى أتذكرها جيداً وكانت فى خريف العمر وتقطن بحجرة بمفردها وما كان أحد يعرف لها إخوة ولا أبناء ولا أقرباء ولا عمل ترتزق منه وكانت لديها إبتسامة طيبة تشرق وجهها الملىء بالتجاعيد.

كانت قطط الشارع تتجمع أمام باب حجرتها لأنها كانت تعطف عليهم وتضع بقايا الطعام القليل الذى يتبقى منها لهم أمام باب الحجرة.

هذه السيدة كانت تدعى (نوسة) ورغم فقرها ورقة حالها فما وجدتها تستجدى أو تطلب المساعدة من أحد، مبتسمة دائماً وراضية.

كنت صغيراً لا أعى فكنت أسأل نفسى كيف تعيش وليس لها أبناء ولا أقرباء ولا عمل ترتزق منه ولكن بعد ذلك علمت جزء من سر تكافل الناس فى الحى، فعندما ألم والدتى المرض، طلبت منى الذهاب الى نوسة بدلاً منها ومعى بعض أطباق الطعام، وأن آتى بأطباق آخرى فارغة من عندها وأوصتنى ألا أخبر أحداً لمن تلك الأطباق ولما ذهبت إليها، قبلتنى وحملتنى التحية لوالدتى وناولتنى ثمرة من

البطاطا المشوية لم أذق مثلها فى حياتى، ربما لأنى كنت أشعر بالجوع حينها وربما هى هدية من قلب قريب من الله عز وجل فصارت حلاوتها الى قلبى.

علمت بعدها أن أهل الحى يحملون إليها مأكولات مثلى فعلمت أنه سر رزق الله الذى يرزق به عبادة من حيث لا يعلمون، أليس هو من يرزق الدودة فى الحجر والطير على الشجر.

فى هذه الفترة كان يمر بالحى، بعض الباعة يحملون كتيبات صغيرة بها روايات لبعض الرواه المجهولين أو حوادث شهيرة حدثت فى وقت سابق وكان ثمن تلك الكتيبات لا يزيد عن بضعة مليمات وهى عملة إندثرت مثل كثير من العملات مثل (النكلة والبارة والنصف فرنك) وغيرها .

وكانو الباعة ينادون على الكتيبات بإسم الموضوع الذى تتناوله، فمثلاً (إقرأ يا محترم عن المرأة التى أكلت ذراع زوجها أو التى أنجبت طفلاً بعدة رؤوس)، وأشهر تلك الكتيبات هى حكاية ريا وسكينة السيدتان اللتان كانتا تختطفان النساء وتقتلهن بالإسكندرية وتستولى على مصوغاتهم.

أما أشهر تلك الحكايات فهى القصة الحقيقية لسعيد مهران البطل الحقيقى لرواية نجيب محفوظ (اللص والكلاب) وأسمه الحقيقى هو أمين سليمان وكان الإعلام يطلق عليه لقب (السفاح)، كان يثير خيالنا وحدث من قصتة رد فعل شعبى مختلف فقد تعاطف معه الخيال الشعبى وصنع منه بطلاً ودارت حوله الإشاعات بأنه ثائر على الظلم وليس لصاً، يسرق من الأغنياء ليعطى الفقراء، بل إدعى بعض الأطفال أنهم رأوه وتحدثوا اليه.

قبل تملك الكثيرين من الناس سيارات كانت الشوارع شبه خالية تجرى فيها مباريات كرة القدم بين شباب الحى الذين يكونون فرق لكرة القدم فيما بينهم وتحمل تلك الفرق أسماء موحية مثل فريق (الأسد المرعب أو النمر الغيور... إلخ)، يتنافسون فيما بينهم على كأس صغيرة إبتاعوه بقروش قليلة أو كان إرث أحد أفراد الأسرة وكانت تلك المباريات تحظى بنسبة مشاهدة عالية، فيتجمع الناس على رصيفى الشارع لمشاهدة المباراة.

وكثيراً ما تألق بعض لاعبى تلك الفرق وإنضم الى أحد الفرق الكبرى التى تلعب فى الدورى المصرى.

أما الحدائق التى حول المنطقة وأشهرها الحديقة المتاخمة لحى قلعة الكبش والتى كانت ممتلئة بالأشجار المختلفة ومنها شجر الليمون وأشجار أخرى تنتج ثماراً كنا نحبها ونحن صغار مثل النبق وعنب الديب، فكانت تلك الحدائق مرتع مارسنا فيه لعبنا ولهونا ونحن صغار ومكان ثرى بالطيور يصطاد منه البعض بالنبل طيور العصافير واليمام والحمام البرى.

نعود بعد ذلك لنغتسل ونتجمع تحت البيوت لنستمع الى من يملك منا موهبة السرد و ونعرف من البعض أحدث النكات.

*****

نزلت علينا هزيمة ١٩٦٧ وإحتلال سيناء مثل الصاعقة، ورغم أننا كنا صغار ولا نعى حجم المأساة والمصيبة التى حدثت للوطن، ولكن كنا نشعر بأنه حدث أمر جلل سيغير حياة مصر للأبد.

ورغم الألم الذى كان يشعر به الشعب ولكن إنتشرت حينها النكات على أداء قواتنا وهى طريقة عبقرية لجلد الذات وحث القيادة على بذل أقصى جهد لإستعادة الأرض ورد الشرف.

وسرى صمت حزين بين الناس ولكنه ليس مثل أى صمت فهو صمت له ضجيج يخرق طبلة الأذن ويهز الوجدان والمشاعر.

واذكر حين ذهبنا ونحن طلبة بالجامعة الى مدينة الإسماعيلية ضمن الرحلات التى كانت تنظمها الجامعة للطلبة ورأيت العلم الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة يرفرف متباهياً فكدت أبكى من الحزن والألم ولما دخلنا مدينة الإسماعيلية وكانت الشوارع والمساكن خالية من سكانها بعد أن هجرها أهلها فكان منظر بشع ولن يتاح للكثيرين أن يروا مدينة كاملة يعشعش فى أرجائها الغربان كما كانت الإسماعيلية فى هذا الوقت.

وحمداً لله بأن حياتنا إمتدت حتى رأينا قواتنا تدك حصون العدو ومراكز عملياتة فى شرق القناة وعبور قواتنا الشجاعة خط بارليف الذين كانوا يتخيلون بأنه منيع ولا يخترق.

منذ سنوات عمرى الأولى وعندى شغف بالسينما ومعظم وقت فراغى كنت أقضيه إما فى قراءة الروايات العالمية المترجمة وروايات الأدباء المصريون مثل يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس ونجيب محفوظ وغيرهم والتى كنت أبتاعها من سور حديقة ميدان السيدة زينب أو سور حديقة الأزبكية بثمن زهيد، أو الذهاب الى سينمات الدرجة الثالثة الكثيرة التى كانت منتشرة فى حى السيدة زينب والناصرية والحلمية الجديدة والأحياء المحيطة بها وأكثرها كانت شتوية وبعضها سينمات صيفية فى الهواء الطلق.

تلك الأيام وقبل وجود التليفزيون كانت السينما سواء العالمية أو المصرية مزدهرة وموضوعاتها شيقة ومثيرة ونجوم الأفلام من الرجال والسيدات كأنهم جاءوا عبر الأساطير، علاوة على الأفلام التاريخية بملابسها وموسيقاها التى كانت تثير الخيال.

ساهمت تلك الأفلام فى تكوين وجداننا وخيالنا وخاصة الأفلام التاريخية المستمدة من ملحمتى الإلياذة والأوديسة لهوميروس

والأفلام الحربية التى تصور أحداث معارك الحرب العالمية الأولى والثانية، علاوة على الأداء الفذ للنجوم والنجمات القدامى.

بالإضافة إلى شغفى بقراءة الأدب العالمى والمصرى فقد كنت أبتاع مجلة السينما التى تصدر فى مصر وكانت ثرية جداً وتتضمن صور وأخبار النجوم العالمين وموضوعات شيقة تتناول معلومات كثيرة عن نجوم السينما والمسرح علاوة على عرضها (سيناريو) كامل لفيلم من الأفلام المعروفة والتى سبق عرضها وأدى ذلك الى زيادة شغفى بالسينما،

كان أول أعمالى الأدبية والذى دونته فى كراسة خواطرى الأولى عن (عم محروس) بائع بسكوت العلبة.

أنهيت دراستى فى المرحلة الإعدادية وبدأت الدراسة الثانوية، وأنهت بسمة الدراسة الإبتدائية وإنتقلت الى مدرسة إعدادية، وما كنا نستطيع فى هذا العمر ان نستعيد جلساتنا فوق سطح المنزل أو على الدرج، فهناك قيود (العيب والأصول).

جزء من وقتى أثناء الأجازة كنت أقضيه فى المكتبة العامة بحى جاردن سيتى المتاخم لحى السيدة زينب أو أذهب وأستعير كتاباً من هناك.

ذات يوم توقفت بأحد المحال قبل الذهاب للمكتبة أبتاع حبات النعناع التى كنت أحبها كثيراً، ولما هممت بمغادرة المحل وجدت بسمة أمامى ، إبتَسَمَت وقالت :

- أين يذهب صديقى المفضل ؟
- الى مكتبتى المفضلة لأستعير كتاب ؟
- وهل من الممكن أن أستعير واحداً أنا أيضاً؟
- مازلت صغيرة ولكن من الممكن أن أستعير واحداً بإسمى أو تطّلِعى عليه بالمكتبة فما هو إسم الكتاب ؟
- هل ممكن أن أذهب معك لأختاره بنفسى ؟
- نعم بالطبع.

سرنا عبر حى جاردن سيتى وكان متاخماً للحى الذى نسكن فيه وشوارعه خالية ويقطن فيه الأثرياء من المواطنون أو بعض

الأجانب وفى منتصف الطريق الى المكتبة وأثناء مرورنا أمام حديقة عامة قالت بسمة :

- حمزة.. لقد شعرت بالتعب من السير، هل من الممكن أن نجلس لنستريح قليلاً فقلت نعم هيا بنا، جلسنا على مقعد من الرخام بالحديقة وقالت :

- أفتقد حديثنا معا كما كنا نفعل من قبل على الدرج أو على سطح المنزل.
- وأنا أيضاً يا بسمة.
- إحكى لى قصة من قصصك القديمة أو فيلماً رأيته أو أى شىء تريده، المهم ألا تتوقف عن الكلام.

كنت قد رأيت فيلم الهروب الكبير منذ بضعة أيام، قصصت عليها قصة الفيلم وكيف خطط أسرى الحرب أثناء الحرب العالمية الثانية للهروب من معسكر الأسر عبر حفر نفق تحت أرض المعسكر وكيف كانوا يفعلون فى نتائج الحفر وتزوير أوراق الهوية و وأضفت ولكنى عرفت مفاجئة كبيرة غريبة بعد فترة من رؤية الفيلم فقالت :

- وما هو ؟

- الفيلم كان يصور هروب مجموعة من أسرى الحرب التابعين للحلفاء من معسكر الأسر الألمانى ولكن المفاجئة أن هذا الهروب حدث فعلاً، ولكن هروب أسرى من الضباط الألمان من معسكر تابع للحلفاء.
- هذا كذب.
- نعم وتزييف للتاريخ أيضاً ولكن التاريخ يكتبه المنتصرون دائماً.

رغم صغر سنها الذى لم يتعدى خمس عشر عام ولكنى كنت أشعر بأنها كبرت وأصبحت راشدة، غرقنا فى الحديث نتناول حبات النعناع ونضحك حتى قاربت شمس اليوم أن تغيب فعدنا الى المنزل، وإعتادت بعد ذلك أن تذهب معى الى المكتبة ونجلس بذات المكان كلما تيسر ذلك.

*****

ذات يوم وقبل الفجر بقليل شَعرّت وكأن المنزل يهتز، بعد لحظات تكرر ذلك بصورة أكبر ووجدت السكان يهرولون على الدرج

يصرخون، خرج السكان من المنزل الى الشارع مهرولين وخرجنا مثل باقى السكان.

حضرت لجنه من رئاسة الحى للمعاينة ونصحونا بمغادرة المنزل لأنه آيل للسقوط فى أى لحظة.

كنا محظوظين لأن منزلنا تحيطه منازل أخرى من ثلاثة جهات وصمد ولم ينهار.

حضر خالى وطلب من والدتى بأن تقنع أبى بالإنتقال الى منزله فهو يسكن به وحيداً وبيتنا آيل للسقوط ويخشى علينا وخاصة الأطفال الصغار إخوتى كما أنه يعمل وحيداً بورشته ولو وحد جهوده مع أبى ينهون مطالب زبائن الورشة بشكل أسرع وتكون الأرباح أكبر، إنتقلنا الى بيت خالى ونقل والدى أدواته الى ورشة خالى.

بعدها بفترة علمت بأن عائلة بسمة يشحنون أثاث منزلهم إستعداداً للرحيل عن البيت والحى.

ذهبت الى بيتنا القديم وجلست على رصيف الشارع أراقب وأشعر بحزن شديد، كان العمال يهبطون من المنزل حاملين الأثاث إلى

شاحنة تقف أمامه، يساعدهم أطفال البيت فى حمل المقتنيات الصغيرة.

رص العمال كل المقتنيات والأثاث على ظهر الشاحنة بينما والد بسمة ووالدتها يتحدثون مع بعض الجيران من الحى وجلس بنات عم صالح أشقاء بسمة على حاشية وضعت على ظهر الشاحنة فوق الأثاث.

كان شقيقتا بسمة يضحكان ويشيران الى باقى أطفال الحى، أما هى فبقيت تائهة وجهها متقلص تحبس البكاء ويكسو وجهها نظرة حيرى متسائلة من الألم وعيناها تحتجز الدموع، وكأنها تقول لوالديها (أما يوجد حل آخر غير الرحيل ، أما يوجد حل آخر غير فقدان الجنة).

شعرت بغصة فى حلقى وخاصة عندما إنتحب أبيها وأمها وهما يصافحان الجيران وعندما بدأت الشاحنة فى التحرك وقفا يراقبان الحى وكأن الشاحنة تسحب منهم حياتهم مع دوران إطاراتها.

وقفت أشاهد الشاحنه وهى تتحرك مبتعدة حتى نهاية الشارع ثم إنعطفت فى نهايته، وشعرت بأنى فقدت جزء منى وأغرورقت عيناى بالدموع.

حتى ذلك الوقت ما كنت قد عايشت من قبل آلام الفقد والفراق، والذى يأتى من شغاف القلب فيحرق الحشا أو كأنها مئات الإبر تنغرس باللحم ببطء فلا تستطيع ان تنام ولا تحب أن تستيقظ تستدعى كل لحظه كئيبة ، الصمت لا يشفى ولا الصياح يريح ولا البكاء يرحم..الدنيا مثل سم الخياط.. الطعام مر والشراب سم تتمنى السكينة وهى نائيه بعيدة المنال.

هذا ماكنت أشعر به عندما مررت بمشاعر الفقد الأولى ورؤيتى لوالد ووالدة بسمة ينتحبان.

بعد فترة علمت بأنهم إستأجروا شقة بإحدى المناطق البعيدة، وأصبح صعباً على رؤيتها أو حضورها أوذهابى إليهم.

بعد إنتقالنا الى منزل خالى ورغم أنى كنت مع أسرتى بنفس الحى ورفقائى لم يتغيروا ولكن شعرت بغربة شديدة، إفتقدت بسمة والضحكة التى كانت تعلوا وجهها كلما قصصت عليها حكاية من

حكاياتى وتعليقاتها الكوميدية والتى تبين مدى براءتها و أفتقدت الجلوس بسطح البيت ومشاهدة أسراب الحمام الذى يربيه أحد الجيران فى (غِيّة) على سطح العقار المجاور، يحوم فوق البيوت فينشر السعادة والبراءة والسلام وكذلك إفتقدت نافذة حجرتى التى كانت تطل على مأذنة المسجد وبرج أجراس الكنيسة، وبقيت مشاعر الفقد تلازمنى طول حياتى، ملقاه هناك بمكان مظلم بإحدى شغاف القلب.

أنهيت دراستى الثانوية وإلتحقت بكلية الفنون الجميلة، كانت الدراسة بها ممتعة وتتناسب مع إهتماماتى،وإستفدت كثيراً من ورشة أبى أثناء الدراسة أو عند عمل مشروع التخرج، كما إستفادت الورشة مما تعلمتة بالكلية.

بعد تخرجى إشتغلت بمكتب هندسى يقوم بعمل التصميمات والديكورات للشقق والفيلات الفاخرة وكنت كثيراً ما أستعين بخبرة أبى وخالى فى بعض المشكلات التى تقابلنى أثناء العمل.

كان أحد زملائنا بالمكتب أحبه كثيراً ويدعى (طُليب المنفلوطى) من صعيد مصر وينتمى الى عائلة كبيرة بالصعيد يمتلكون الأراضى ووالده يحبه كثيراً وإستأجر له شقة حتى يقيم بها فى القاهرة ورغم حضوره للقاهرة منذ سنوات ولكنه مازال متمسك بلغته الصعيدية والتى بها موسيقى محببة (فقد كان ينطق حرف القاف جيم) فيقول مثلاً (جديم بدلاً من قديم) وأحياناً يعطش حرف الجيم حين ينطقه فكانت الكلمات تخرج من فمه بها نغمة جميلة، كان من أوائل

خريجى كليته كما أنه كان مجيداً فى عمله وخفيف الظل الى أقصى درجة، يدخن ويتناول الشاى بشراهة.

ذات مرة وكنت أجلس بالمكتب منشغلاً فى لوحه على منضدة الرسم ، جاء إلى وبيده قدحاً من الشاى وبين أصابعه لفافة مشتعلة وقال وكأنه يحمل خبر قيام ثورة شعبية أو قيام الحرب العالمية الثالثة :

- لو رأيت ما رأيت يا حمزة لوقعت وعدلوك على (الجبلة.. يقصد القِبّلَة) يا وِلّد عمى.
- وماذا رأيت حتى يحدث لى ذلك؟!
- (صاروخ موچه على هيئة فتاة) لم أرى مثيلها من قبل، چميلة چداً وأنيقة ورقيقة وفاتنة علاوة على أنها خفيفة الظل أيضاً.
- وأين رأيت كل ذلك؟!
- بمكتب المدير.
- وماذا أتى بهذا الصاروخ هنا ؟

- لم يأتى بها أحد ولكنها چاءت تطلب عمل ديكور لمنزلها، وعلاوة على چمالها فقد إمتلأ المكتب بعطرها الأخاذ وأردف بحماس زائد:
- هذا هو العطر الحقيقى يا حمزة يا ولد عمى وليس ماء الكلونيا الذى تضعه بعضهن.
- حقاً تقول فأنا أشم رائحة عطر جميل منذ عدة دقائق، ولكن كيف عرفت بأنها خفيفة الظل؟
- أثناء حديثها مع المدير.
- حلال عليك ما رأيت ودعنى لأن عملى متأخر وأريد تسليم اللوحات اليوم.

شعر طليب المنفلوطى بإحباط من رد فعلى على كلامة و أنى لم أتحمس مثله وغادر .

أنهيت عملى وتوجهت الى المصعد لأغادر المكتب، وجدت عند المصعد مدير المكتب يودع إحدى الفتيات وتعقد شعرها مثل ذيل حصان، كانت ظهر الفتاة ناحيتى فلم أرى وجهها ولكن أتى الى أنفى نفس العبير.

دخلت الفتاة الى المصعد ودخلت ورائها، لمحتها للحظة، فكانت جميلة وفاتنة كما قال زميلى طليب المنفلوطى.

هبط المصعد بنا الى الدور الأرضى، أفسحت حتى تخرج وقلت لها:

- بعدك يا هانم، خَرَجَت من المصعد وخَرَجَّت خلفها، نظرت الى وجهى متفحصة وقالت :
- ألست الأستاذ حمزة، فقلت :
- نعم ياسيدتى وهل أتشرف بمعرفتك ؟، ضحكت ضحكة رائعة وقالت :
- أما تعرفنى يا حمزة فأنا بسمة، بقيت للحظات غير مصدق، فها هى بطلة حلمى الضائع أمامى، فقلت :
- بسمة صالح !
- نعم أنا بسمة ولكن إسمى الفنى الآن هو بسمة البارودى.

صَحَبَتّنى من يدى خارج المصعد فَرِحة والى خارج المبنى وقالت :

- عرفتك فوراً منذ رأيتك فكيف لم تتعرف على !

- تغيرت يا بسمة، وكبرت وأصبحت فتاة كاملة.
- وهل تغيرت للأحسن ؟، هيا نجلس بمكان فقد إشتقت إليك.

توجهنا لسيارتها وذهبنا الى محل جروبى بشارع سليمان باشا كانت تتأمل وجهى ونحن جالسان ثم قالت :

- عندما كنا نجلس ونحن صغار فوق سطح منزلنا، ما كنت أتخيل أن تفرقنا الأيام كل تلك المدة ثم أراك مصادفة، إشتقت إليك كثيراً وأفتقد كلامك وحكاياتك.
- كنت فى بالى دائماً ولم يمر يوم لم أفكر فيك.
- أَتَعّلَم ماذا كان يطلق عليك زملائى بالمدرسة ؟
- لا لست أعرف، فقالت ضاحكة :
- بطل بسمة.
- كنت صغيرة وجميلة وكنت أخشى عليك من مضايقة الصبيان.
- فقط هذا هو السبب؟
- وكنت أحبك أيضاً.
- نطقت أخيراً!
- وهل مازلت شغوفة ببسكوت العلبة؟

- أين أجده الآن وياترى عم محروس ما زال حياً ويبيعه ؟
- لست أدرى، فعندما كنا صغار كان هو شيخ هَرِمْ والمرة الأخيرة عندما رأيتة كان واهناً ومريضاً، أشفقت علية وإبتعت كل البسكوت الذى يحمله بعد أن حطمت حصالتى.
- أتذكر هذا اليوم ولا أنساه أبداً فقد أمضيت أسبوعاً سعيداً أتناول فيه البسكوت.
- وماذا تعملين الآن، وهل مازلتم تقيمون فى منطقه دار السلام.
- توفى والدى منذ عدة سنوات وضاق بنا الحال بعد وفاته حتى جاءتنى الفرصة فعملت فى مسرح للهواة مدة قصيرة ودرست بمعهد السينما بالقسم الحر، وأديت عدة أدوار صغيرة حتى قابلت مخرج سينمائى وتعاقدت على أول دور فى مسلسل من إنتاج التليفزيون وسنبدأ التصوير هذا الإسبوع.
- ولكن أين تقيمين الآن ؟
- أستأجرت شقة بحى المهندسين مع زميلة من زميلاتى لفترة ثم إشتريت شقة وأقوم بتجهيزها، وأين تقيم أنت ؟
- توفى والدى منذ عامين ومازلت أقيم مع أمى بالحى القديم مع شيقتاى وهما بالجامعة الآن.

كنت أتأمل ملامح وجهها الجميل وضحكتها الرائعة وأشرد وأتخيلنى معها حين كنت على سطح بيتنا نأكل بسكوت العلبة ونضحك، الروح بريئه والقلب خالى من الهموم، وتمنيت أن يتوقف الوقت ونبقى معاً حتى نهاية العمر، أفقت من شرودى عندما قالت :

- ألم تفكر فى الزواج يا حمزة.
- مازال إخوتى يدرسون وما زلت فى بداية تكوين مستقبلى ولم أجد من تجعلنى أتخلى عن حريتى.
- ولم تقع فى الحب ولو مرة واحدة.
- أحياناً كانت تروقنى بعض الفتيات ولكن لم أقابل من تضرم نار الحب بقلبى حتى الآن، وماذا عنك ؟
- لم أقابل من يجعلنى أتنازل عن حلمى وحريتى، ولا أخفى عليك فإن كل من قابلتهم من الرجال كنت أقارنه بك فتفوز أنت دائماً.

مرت الساعات وإنتصف الليل وقمنا نغادر، إصطحبتنى الى البيت بسيارتها، تبادلت معها أرقام الهواتف وعرفت أين تقيم وقبل أن أغادر، طبعت على وجنتى قبلة سريعة وقالت:

- عندما كنا نجلس معاً بمحل جروبى، أقسمت ألا تضيع منى مرة ثانية أبداً ياحمزة.
- وأنا أؤكد لك بأننا لن نتوه عن بعضنا بعد ذلك أبداً.

صعدت درج منزلنا وكأن سحابة تحملنى وتهدهدنى، يملأ أنفى العبير الصادر منها، وأشعر بملمس شفتاها على وجنتى، غرقت فى نوم عميق تتخلله أحلام جميلة هى بطلتها.

نجلاء هى زميلة لنا بالمكتب الهندسى وتعمل بذات القسم الذى يعمل به طليب المنفلوطى، أهلها من صعيد مصر مثل طليب ولكنهم رحلوا الى القاهرة منذ بضع سنوات.

كانت نجلاء جميلة وجادة، تتحرك وتتكلم مثل الرجال ومجيدة فى عملها.

أحد المرات وكنت أجلس على مكتبى أنهى لوحة، جاء طليب وقال :

- هل لديك دقيقة يا حمزة ؟
- نعم، فماذا تريد؟
- أريد أن أحدثك بشىء ولكن أريد وعدك ألا تخبر أحداً فقلت :
- كأنه نزل فى بئر يا طليب فلا تخاف.
- أحب نجلاء جداً جداً، إبتسمت وقلت :
- لكنى لا أستطيع أن أفى بوعدى لك يا طليب.
- لماذا ياحمزة؟

- لأن المكتب كله يعلم بأنك تحب نجلاء جداً جداً يا طليب؟
- أحقاً تقول ؟
- نعم فلا أكذبك القول ؟
- ومن أبلغهم ؟
- لم يبلغهم أحد، ألم تسمع أم كلثوم وهى تغنى (الصب تفضحه عيونه يا طليب)
- وما معنى هذا؟
- الصب هو الحبيب الذى وقع فى الغرام، وتفضحه نظراته وتصرفاته فيعلم الناس ما يضمره قلبه.
- أكنت غراً بهذا القدر؟
- لم تكن غراً ولكن الحب هو ما فضحك وهذا ليس لك يد فيه والحب ليس عيباً مادام حلالاً.
- هل أراعى تصرفاتى من بعد؟
- أنت لم تفعل شىء ولكنه الغرام غلبك يا وِلّد عمى.
- وماذا أفعل وقد ملكت على مشاعرى ؟
- نجلاء فتاة مستقيمة وصريحة وواضحة ولو علمت بأنك تكن لها مشاعر طيبة فلن تمانع.

- وماذا أفعل معها ؟
- هل تريد الإرتباط بها ؟
- بالطبع ؟
- آت لها من الطريق المستقيم وهو أقصر الطرق وقل لها بأنك تريد مقابلة والدها.
- وهل تعتقد بأنها تكن لى نفس المشاعر ؟
- رغم بأنها لم تأتى بأى تصرف يدل على ذلك ولكن تتذكر عندما كنت مريضاً منذ عدة شهور وقمت بأجازة من المكتب وقمت أنا بزيارتك مع بعض الزملاء بشقتك؟
- نعم ولكنها لم تكن معكم.
- بعد أن عدنا، جاءت الى مكتبى ويعلوا وجهها قلق وإستفسرت عن صحتك.
- هذا ليس دليل وكل زميلاتنا سألن عنى.
- أنا أشعر بانها تكن لك مودة كبيرة وأنا أثق فى إحساسى.

جاء بعد يومين يعلوا وجهه البشر وقال :

لقد تكلمت معها يا حمزة.

- وماذا كان ردها؟
- قلت لها، لماذا لم تتزوچى يا نچلاء حتى الآن ؟ فقالت:
- عندما يأتى النصيب فسوف أفعل.
- هل أنت مرتبطة مع أحدهم، نظرت الى شذراً وقالت:
- لا أمرح فى شوارع المدينة مع الغرباء يا طليب، فقلت:
- لا أقصد ولكن لو تقدم إليك أحد الزملاء بالمكتب فهل توافقى، فقالت بشكل مباشر وبچدية :
- هل هذا الزميل هو أنت، فهل تريد أن تخطبنى، فقلت:
- نعم، فقالت:
- أبى فى البيت كل يوم بعد الظهر وهذا رقم هاتف منزلنا فهاتفه وإتفق معه على موعد وآتى الى بيتنا، بالطبع ليس بمفردك ولكن مع أبيك.
- وهل أنت موافقة؟
- ما كنت أعطيك رقم هاتف منزلنا لو كنت عكس ذلك.

كان طليب يحكى ومشاعر الفرحة تملأ وجهه وقال بأنه سيعود الى بلدته ليخطر والده.

بعد عدة أيام دخلت نجلاء مكتبى على إستحياء وبعد أن ألقت التحية قالت :

- **هل تسمح لى بدقيقة من وقتك يا حمزة؟**
- **بالطبع يا نجلاء.**
- **زميلنا طليب طلب يدى ليخطبنى،فما رأيك؟**
- **طليب يكن لك مودة وإحترام وهو من عائلة كريمة وجاد وأهل للثقة أيضاً.**
- **وهل أوافق؟**
- **هذا يرجع إليك فلو كنت تكنين له مودة، فعلى بركة الله.**
- **أنا لست أحبه ولكنى أميل إليه وهو شخص جاد ومستتقيم وأعلم بأنه يحبنى وعائلته كريمة ويتحمل مسئولية بناء أسرة.**
- **أوافق على ما قلت، وهو شخص طيب ونقى وأهل للثقة ومبروك مقدماً.**
- **أنا موافقة من ناحية المبدأ ولكن أثق فى رأى والدى، فإن وافق فسوف أوافق.**

*****

دخلت المكتب ذات صباح فأعطانى الساعى مظروفاً، ولما فتحته وجدت به تذاكر لمسرحية (إمرأة تلعب بالنار) وتلعب بسمة دور البطولة فيها وتقام بمسرح الهناجر، وخطاب مع التذاكر تطلب منى تقييم أدائها المسرحى بصفتى مشاهداً ومتذوقاً لفن المسرح والسينما لو تمكنت من الحضور.

أخبرت زملائى بالمكتب وذهبنا سوياً لنشاهد المسرحية ومنهم بالطبع زميلنا (طليب المنفلوطى).

المسرحية تتعرض لحياة إمرأة باعت نفسها للشيطان مقابل أن تنال الشهرة والأموال والمقتنيات الكثيرة من بيوت وحدائق وسيارات ومصوغات، إمتد بها العمر وتمتعت بالأموال والمقتنيات وأثناء رحلة سفارى بالصحراء ضل السائق الطريق ومات من كانوا معها بالسيارة عطشاً وأشرفت هى الأخرى على الموت وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، نظرت الى السماء فوجدت طاقة من نور لم تراها من قبل، علمت بأن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير وأبقى فطلبت من الله عز وجل التوبة ثم أغشى عليها، بعد دقائق مرت دورية لحرس الحدود ونقلوها الى المستشفى وتم إسعافها.

كان أداء بسمة رائع وخاصة عند مراحل التحول الى تحالف مع الشيطان أوعند التوبة والرجوع الى الله.

إشتعلت صالة المسرح بالتصفيق والتحية للممثلين وخاصة بسمة بطلة العرض وخرجت تحيي الجمهور أكثر من مرة وقدم إليها البعض باقات من الورود.

إنتظرنا لنصافحها ونشكرها على دعوتها، إحتضنتنى وقبلتنى وصافحت زملائى بترحيب شديد وشكرتهم على تلبية الدعوة.

غادر زملائى مسرورين من العرض ومن مقابلتها وخاصة طليب الذى كاد أن يطير من الفرح.

بعد العرض صحبتنى بسيارتها الى أحد المطاعم الذى يقدم وجبات بحرية ومشهور عنه السهر حتى الصباح، نتناول العشاء وعندما أنهينا العشاء قالت :

- أرجو أن يكون العرض قد أعجبك ؟ فقلت:
- أتريدين أن أصارحك.

- بكل الصراحة ولا تخفى شىء، الفنان يتعلم من النقد وخاصة نقد المشاهدين.
- عندما بدأ العرض شرد ذهنى للحظات وتخيلتك معى على سطح المنزل نأكل البسكوت وقلت لنفسى، هل تنجح مثل هذه الفتاة الصغيرة أن تنتزع الإستحسان من كل هؤلاء المشاهدين، ولما توالت أحداث المسرحية، نسيت بسمة التى أعرفها وعشت مع بطلة العمل، فقلت لنفسى هذا دليل نجاح ساحق يا بسمة.
- وأى من الفصول أعجبك أكثر ؟
- هى مراحل تحول الشخصية والحوار الذاتى أوما يسمى بلغة المسرح (المونولوج) الذى تجريه البطلة مع نفسها وخاصة المشهد الأخير والذى إنتزع أهات الإستحسان والتصفيق الحاد من جمهور المشاهدين.
- هذا أجمل نقد سمعته عن العمل، ولكنى أصدقك القول لو قلت بأن حكاياتك التى سمعتها منك على سطح بيتنا بالحى شكلت جزء أصيل من وجدانى وخاصة الشطحات التى كنت تضيفها من عندك ؟
- أكنت تعلمين بأنها من إضافاتى ؟

- نعم ولكن كل ما كنت تقوله كان يمتعنى، فما الفرق!
- ما قلته لك اليوم ليس نقد ولكن إحساسى بأدائك وإنفعالاتك مع الشخصية.
- أتمنى أن تكون دائماً، معى فأنا أشعر بالأمان معك وأكون على سجيتى بلا رتوش أوكلمات منمقة إعتدنا عليها فى وسطنا.
- وأنت كنت دائماً معى لم تغيبى أبداً عن بالى.
- هيا بنا حتى تستطيع الإستيقاظ فى الصباح، فنحن النجوم ليلنا هو نهارنا.

عندما هممت بأن أدفع الحساب رفض النادل وقال بأن السيدة لها حساب مفتوح بالمحل.

صحبتنى بسيارتها حتى باب البيت وطبعت قبلة على وجنتى قبل أن تغادر.

عندما طالعت بعد ذلك المجلات الفنية وجدت رأى النقاد يوافق الرأى الذى قلته لها فقلت لنفسى لقد أفادتنى ثقافتى الفنيه أخيراً.

غادرت مكتبى ذات يوم وشعرت بالرغبة فى تناول الحلوى، عرجت الى محل جروبى سليمان باشا لأبتاع بعض الحلوى، عندما وصلت قلت لنفسى لماذا لا أجلس أتناول فنجاناً من الشاى فأنا أحب هذا المكان منذ تقابلت فيه مع بسمة.

جلست أتناول الشاى شارداً، أفقت على من يحتضننى بقوة من الخلف وأنا جالس وكانت بسمة بعبيرها الآخاذ الذى ملأ المكان وقالت :

- أنا سعيدة برؤياك يا حمزة، ماذا تفعل هنا، وهل معك أحد؟
- نعم، عم محروس بائع البسكوت، هتفت فرحة :
- أين هو ولماذا جاء هنا، أشرت هلى رأسى وقلت :
- هو هنا برأسى وليس بالمحل.
- ولماذا تفكر فيه ؟!
- أكتب رواية بأسم بسكوت العلبة تحكى قصة عم محروس وصراعه مع الحياة والمرض ولما وصلت هنا وجدت المكان

جميلاً ومريحاً ويشجع على الإبداع فجلست أفكر فى أحداث الرواية.

- هذ أجمل ما سمعته اليوم يا حمزة، فأنت فنان موهوب ولكن تحتاج أن تبدأ وسوف ترى، ولكن لماذا لا تنتسب الى معهد السينما وتدرس فن كتابة السيناريو أفضل، فهو يتوافق مع قدراتك.
- فكرة جيدة ولكن كيف.
- لا تحمل هم، لى أصدقاء كثيرين منذ كنت أدرس هناك، سآتى لك بالشروط وموعد الإختبارات وعليك ملىء نماذج التقديم والباقى أتركه على.
- ولكن لم تقولى لى ماذا كنت تفعلين هنا ؟
- ستسعد لو علمت.
- وما هو؟
- كنت أبتاع شىء ودخلت لمدير المحل، أسأله على بسكوت العلبة.
- وهل وجدتيهم يبيعون البسكوت ؟

- لا لم أجدهم يبيعونه ولكنى وصفت للمدير البسكوت وطلبت منه أن يصنعه وقلت له لا تخاف من ركود البضاعة، سآتى إليك بالعشرات من الزبائن ليشتروه.
- وماذا قال؟
- قال أنه سيبحث ذلك مع الشيف حلوانى والتكلفة والنواحى الإقتصادية وسوف يرد على بعد فترة.
- أتمنى أن يفلح فى إنتاجه.
- وأنا أيضاً أتمنى ذلك.

حضرت فتاة أخرى صافحت بسمة وقالت :

أما تقدمينى لمن تجلسين معه فقالت بسمة:

- هذا حمزة من حدثتك عنه من قبل، وهذه هدى صديقتى من حدثتك عنها ومن كنت أسكن معها.
- أعرف حمزة ولكن ليس من تحدثتى عنه من قبل ولكن من تتحدثين عنه طول الوقت فقلت :
- لقد تربينا سوياً ونحن صغار ونحمل نفس الذكريات.

كانت هدى صديقة بسمة جميلة وجذابة وجمالها من النوع الذى يفرض سطوته على المكان الذى تحل فيه فجلسنا وأعين الرجال تنظر إلينا ورقابهم ملتوية ناحيتنا .

*****

مررت ببعض الإختبارات للقبول بمعهد السينما وإلتحقت بالدراسة بجانب عملى بالمكتب.

كانت الدراسة ممتعه،فكتابة السيناريو تحتاج الى قدرة على الصياغة وترتيب الأفكار وأن يتمتع السيناريست بالخيال ويتفهم باقى عمل زملائة من المصورين والمخرجين حتى يؤدى عمله بشكل جيد.

عندما أنهيت دراستى ورد بذهنى فكرة أن أكتب سيناريو لفيلم قصير يحكى حياة عم محروس بائع بسكوت العلبة وصراعة مع الحياة ومع المرض.

كتبت السيناريو كما أحببت وعرضته على أساتذتى بالمعهد فنال إستحسانهم، ولما قابلت بسمة وأخطرتها بذلك، طلبت نسخة من سيناريو الفيلم لتقرأه.

بعد فترة لما تقابلنا قالت بأنها سلمت السيناريو الى صديق لها بقطاع الإنتاج بالتليفزيون وتحمس جداً وطلب مقابلتى لمناقشة فكرة إنتاج الفيلم.

قفزت من الفرحة، وقلت لنفسى، أخيراً شطحاتك وخيالاتك سترى النور يا حمزة.

كان سيناريو بسكوت العلبة فاتحة خير بالنسبة الى عملى فى مجال كتابة السيناريو للتليفزيون وبدأت أفكر فى أن أكون سينارست متفرغ.

وكان تشجيع بسمة وإيمانها بقدراتى أكبر دافع على التفكير لأكون سينارست محترف.

نجح الفيلم القصير (بسكوت العلبة) ونال نسبة مشاهدة عالية ونال أيضاً إستحسان بعض النقاد وتحمس قطاع الإنتاج لعمل بعض

الأفلام القصيرة الأخرى، والتى تغوص فى المجتمع وتسلط الضوء على من هم مثل عم محروس من الباعة الجائلين ومعاناتهم، علاوة على المهن التى كادت تندثر مثل بائع الطرابيش وخراط الخشب اليدوى، وساعدنا على النجاح وجود مقدمة للبرنامج قبل عرض الفيلم واعية وفنانة.

كانت فترة مرهقة جداً لى فكنت أستغل أجازاتى من المكتب وأعمل جولات فى القاهرة القديمه كلها، ونبتت فى رأسى أفكار رائعة تصلح لسيناريو أفلام قصيرة نتيجة هذه الجولات، وإكتشفت أن القاهرة مليئة بالكنوزالدفينة التى ماكنت أعرفها ويجب أن يعرفها المشاهدين.

*****

أنهيت عملى بالمكتب وسرت فى إتجاه محطة الحافلات، سمعت صوتاً ينادى إسمى، إلتفت، فكانت هدى صديقة بسمة قالت:

- أين تذهب ياحمزة؟
- إلى محطة الحافلات ثم الى البيت.
- وهل لديك دقيقة، فانا أشعر بالضجر.

- لدى علاج رائع يزيل الضجر فوراً.
- وما هو؟
- الشيكولاتة هو مشروب السعادة وتزيل الضجر، فلو تناولت قدحاً من الشيكولاتة باللبن مع قطعة من حلوى الشيكولاتة يختفى الضجر فوراً وأسميها مسحوق السعادة.
- هل أعتبر هذه دعوة.
- بالطبع، هيا إلى جروبى سليمان.
- جلسنا نتناول الحلوى ونشرب الشيكولاتة، فقالت :
- حقاً لقد تغيرت حالتى.
- هى وصفة مجربة من قبل، هل أنت وبسمة بخير ؟
- نحن بخير وأراها كل فترة وأتيت على بالى، وفجأة وجدتك أمامى.
- أنا سعيد بمقابلتك وسعيد بأن وصفتى نجحت .
- منذ متى لم ترى بسمة؟
- منذ أكثر من إسبوعين.
- لو كنت مكانها لبقيت بجانبك وما تركتك أبداً.

- يقول جان بول سارتر الفيلسوق الفرنسى (العصفور السجين نصف عصفور) وبسمة عصفور جميل تتألق عندما تشعر بالحرية مثل العصفور على الشجرة ولا أحب أن أحبسها بمشاعرى وإحتياجاتى.
- علاوة على كونك وسيم ومثقف، بك صفات الرجل الذى تتمناه كل فتاة.
- أتمنى أن تجدى من تتمنى.
- هل تحب بسمة يا حمزة؟
- مشاعرى ناحية بسمة تفوق مشاعر الحب، فعندما أكون معها لا أشعر بأنى مع شخص آخر بل أجلس مع نفسى.
- وهل هى تحبك؟
- هذا سؤال لديها فقط إجابته.
- سعيدة الحظ من تحبك يا حمزة.
- أشكر لك ذوقك الرفيع يا هدى، ودائماً بسمة تتحدث عنك بكل خير.
- هيا حتى لا تتأخر عل العودة.

بسمة كانت تهاتفنى كل أسبوع مرة على الأقل، نتسامر بالساعات عبر الهاتف.

وذات مساء جاء صوتها حزيناً فقلت لها :

- نبرة صوتك اليوم لا تعجبنى فهل حدث شىء عكر مزاجك؟
- لا شىء ولكن تفاصيل حياتى المزعجة، فلا تهتم.
- إن لم أهتم بك فبمن أهتم؟
- فى الفترة الأخيرة ولما زادت شهرتى وكثرت أعمالى الفنية وإبتعت شقة كما تعرف نصحنى أحد المنتجين أن أقيم حفل عشاء بمناسبة إنتقالى الى بيتى الجديد، حضر الحفل لفيف من زملائى فى الوسط الفنى وبعض كبار المنتجين والمخرجين، وبعض الصحفيين وكان من ضمن المدعون أحد كبار الصحفيون ورئيس تحرير صحيمجلة فنية ويدعى (عثمان رفقى) وهو رجل تعدى ربيع العمر.

لاحظت إهتمامه الزائد عن الحد فى التقرب منى، ثم وعدنى بعمل حملة صحفية يشيد فيها بأدائى وموهبتى وبدأت جريدته فى تلك الحملة.

- هذا جميل فالدعاية هامة جداً للنجم الصاعد.
- نعم وهذا ما قلته لنفسى، ولكن بعد فترة وذات مساء جاء الى منزلى وكان مخموراً وأفصح لى عن حبه الشديد وأنه منذ رآنى أول مرة لا يستطيع النوم ولما قلت له بأن زوجته هى صديقتى وله أبناء وبنات كبار، أراد أن يقبلنى، أبعدته بلطف عنى ووتحججت بوجود صداع يتملكنى وصرفته من المنزل.
- حسناً ما فعلتى.
- الإسبوع التالى وعند مطالعتى للجريدة، وجدت أخبار كاذبة عنى وكلام يسىء الى سمعتى وأننى لا أملك الموهبة الكافية لأكون نجمة.
- وماذا فعلت ؟
- هاتفته بالجريدة وعاتبته، فقال كل شىء وله ثمن يا بسمة.
- هذا الرجل فاسد وقذر فتباعدى عنه.

- وهذا ما حدث ولكن منذ ذلك الوقت لا تخلو المجلة من خبر كاذب أو مقالة تشكك فى موهبتى حتى كاد أن يحطمنى.
- لقد قلت من قبل بأن المخرج (على شادى) يعتبرك كإبنته فلماذا لم تطلبى مساعدته ؟
- فعلت ذلك ولكنه رد عليه بمجموعة من الأكاذيب تشكك فى مصداقيتى وسلوكى.
- وماذا ستفعلين؟
- لست أدرى فقدت تركيزى أثناء العمل وأشعر بإحباط وحزن شديدين.
- أنا أقترح بأن تتحلى بالصبر قليلاً حتى يعلم بأن حملاته لن تأتى بنتيجة فيتوقف، وركزى أنت فى عملك.
- نعم سوف أفعل ذلك.

بدأت أطالع الصحف وخاصة مجلته حتى أرى ما يكتبه عن بسمة، فتأكدت من كلامها وعلمت بأنه لا يمر بضعة أيام إلا وتنشر المجلة خبراً أو مقالة تسىء إليها ولكنها مكتوبة بذكاء بحيث لا توقعه تحت طائلة القانون و لكنها تسىء اليها والى علاقتها بالجمهور.

جلست على فراشى أفكر ماذا أفعل،فأنا أعلم بأنها مازالت على نقائها القديم، ولو كانت غير ذلك لكانت منحته ما يريد وحصدت من وراء ذلك شهرة ودعاية كبيرة.

ظل الشيطان يداعب رأسى، تارة أن أتحرش به وتارة أخرى أن أبحث عمن يتشاجرون معه أو حتى عمن يقتله، حتى سمعت آذان الفجر.

إستعذت بالله من الشيطان الرجيم، فما زالت شقيقتاى صغيرتين وهذا ليس الإسلوب الأمثل للتعامل مع العقبات التى تقابلنى، وطلبت من الله عز وجل أن ينقذها من براثنه.

بعد عدة أيام هاتفتنى بسمة بالمكتب وهى فرحة وقالت بأن الصحفى المذكور هاتفها وقال بأنه يشعر بالندم على ما فعله ورجاها أن تسامحه وتغفر له فقلت لها أن تحمد الله ولكن، يجب أن تحترس، فلن يتحول الذئب الى حمل بين يوم وليلة.

بعد فترة وأثناء دخولى المكتب فى الصباح قابلنى زميلى طليب وعلى وجهه علامات إنزعاج كبيرة وقال :

- أما تعلم ما حدث يا حمزة ؟ فقلت ضاحكاً :
- وماذا حدث يا وِلّد عمى.
- بسمة إرتكبت چريمة قتل.. صرخت وقلت :
- ومن أين لك معرفة ذلك.
- الصحف كلها كتبت عن الموضوع، وناولنى الجريدة.

أمسكت بالصحيفة أحاول أن أرى الحروف وبعد لحظة قرأت، ذكرت الصحيفة بأن الفنانة الصاعدة بسمة البارودى قد إرتكبت جريمة الشروع فى قتل الصحفى عثمان رفقى ببيتها بمدينة نصر وحدث ذلك اثناء قيام الصحفى بقضاء سهرة معها ببيتها وتشاجرا معاً فضربته على رأسه بآلة حادة فوقع على الأرض وإصطدمت رأسه بطاولة فوقع مغشياً عليه ونزف دماء كثيرة وتم نقله للمستشفى بناء على إستغاثة الفنانة وتم التحفظ عليها تحت التحقيق الذى تجريه النيابة حالياً.

وضعت يدى على رأسى التى كادت تنفجر وهرعت الى قسم الشرطة حتى أعرف تفاصيل ما جرى وكيف نتصرف.

وصلت الى قسم الشرطة أنتظر وصولها من سرايا النيابة، عندما وصلت يرافقها المحامى إرتمت بين ذراعى فقلت:

- ماذا حدث ؟ فقالت من بين دموعها :
- هاتفنى بالأمس مرة ثانية وإعتذر وقال بأنه نادم ويريد أن يقابلنى حتى يعتذر الى وجهاً لوجه، حضر بعد ساعة وبعد دقائق هجم على ورمانى على الأرض بجوار المنضدة يريد إغتصابى.

تحسست بيدى فوق المنضدة وتناولت طفاية سجائر زجاجية وضربتة على رأسه، خر على الأرض مضرجاً فى دمائة، حسبته مات فطلبت الشرطة، جاءت سيارة الإسعاف ونقلته للمستشفى وحولنى القسم الى النيابة لإجراء التحقيق.

- وأين هو الآن ؟ رد المحامى :
- هو يرقد بالمستشفى بين الموت والحياة لأنه نزف دماء كثيرة.
- وما هوموقفنا من القضية.
- طلبت الإفراج عن بسمة بضمان عنوان السكن ولكن وكيل النيابة وافق على الإفراج عنها بكفالة .

- غادر المحامى مسرعاً ليدلى ببيان صحفى لأنه علم بأن النائب العام ربما يحظر النشر بالقضية.

سددنا الكفالة وعادت بسمة الى بيتها منهكه ومرهقة مما مرت به فى الساعات السابقة غير مصدقة ما حدث،إنتظاراً للمحاكمة.

صدر أمر من النائب العام بحظر النشر فى القضية لأنها تمس سمعة أحد رموز صاحبة الجلالة وكان ذلك فى صالحنا لأنه كان من المتوقع أن يساند معظم الصحفيين زميلاً لهم يرقد فى المستشفى بين الموت والحياة، علاوة على إنهم لا يعلمون أسرار ما جرى بينه وبين بسمة من قبل ورغم قيام المحامى بإجراء مؤتمر صحفى وضح فيه كل شىء ولكنهم تجاهلوه.

قدمت طلب أجازة من المكتب حتى أتابع مع بسمة تطورات القضية كان الأستاذ (جمال) المحامى الذى تولى القضية ضليعاً فى عمله وتعاطف جداً مع بسمة وصدق كل ما قالته وآمن به.

وبدأنا فى جمع المعلومات عن المذكور وعلاقاته ومسيرته المهنية الطويلة.

*****

شعرنا أثناء جمع المعلومات و التحرى عن المذكور وكأننا نفتح مصباح علاء الدين أو الفانوس السحرى وكانت المعلومات تنهمر علينا كالسيل.

الأستاذ عثمان رفقى سبق وأن ضبطه أحد زملائه فى الجريدة وهو يتحرش بمديرة مكتبه ووعده المذكور بزيادة مكافآته وصلاحياته فى الجريدة نظير صمته.

المذكور فاسد ومبتز وسبق أن باع بعض أصول الجريدة مقابل عمولة كبيرة.

علاوة على المعلومات الخطيرة التى جمعناها عن المذكور تبين حجم الكراهية الكبير الذى يكنه له كثير من زملائه بالمجلة وحجم الجرائم والفساد والإبتزاز الذى مارسه.

إستمرت المحاكمة وقتاً غير قصير نظراً لأن القضية حازت إهتمام الرأى العام وكثرة الشهود الذين جهزهم الأستاذ جمال المحامى وسمعة بسمة الطيبة فى الوسط الفنى والذى أقرها كل الشهود وجاء موعد المرافعة النهائية وجلسة النطق بالحكم والتى أعد لها المحامى جيداً.

قبل موعد جلسه النطق بالحكم ببضعة أيام حضرت الى مكتب الأستاذ جمال المحامى فتاة جميلة وفى مقتبل العمر دخلت المكتب على إستحياء ولما قابلها وجلست أمامه، إنخرطت فى البكاء ومن بين دموعها أفادت بمعلومات خطيرة قلبت القضية رأساً على عقب فقالت :

- إسمى هناء وإسمى الفنى هو نور، منذ ثلاث سنوات قابلت الأستاذ عثمان رفقى فى مكتبه بالمجلة بناء على طلبه، عندما قابلنى قال بأن سبب المقابلة أنه معجباً جداً بأدائى ويتوقع لى مستقبل باهر ولكن ينقصنى الدعاية اللازمة فقلت وكيف لى بتلك الدعاية فإنها تحتاج مبالغ كبيرة وأنا فنانة صاعدة ولا أملك كل تلك الأموال، فقال إنه على فقد تنفيذ توجيهاته وبذل الجهد فى عملى والباقى عليه.

بدأت الجريدة فى نشر دعاية وصور مكثفة عنى وكان لا يمر يوم وتخلو الصحيفة من خبر مفبرك عنى، فقال المحامى :

- وهل ترددت على مكتبه بالجريدة كثيراً؟

- نعم كثيراً، بعد ذلك قال بأن الجو فى الجريدة لا يسمح وهو مشغول دائماً ومن المفضل أن أحضر الى منزله فى مدينه نصر فى المساء.
- ولكن بيته فى حى فى مصر الجديدة ؟!
- هذا المنزل يقطن فيه مع عائلته أما منزل مدينة نصر فهو يقيم به بمفرده ولا تعلم عائلته شىء عنه، وأقيم فيه أنا الآن.
- وبعد ذلك ماذا حدث؟
- ذهبت إليه مرتين بهذا المنزل وفى المرة الثالثة، كانت تفوح من فمه وجسده وملابسه رائحة الخمر، مكثت فترة صغيرة وطلبت المغادرة فقال:
- لماذا تغادرين وأنا أحبك منذ رأيتك فى المرة الأولى وجندت الصحيفة لشهرتك وبناء مستقبلك الفنى، تعللت بموعد مع أحد المخرجين، ولما هممت بالمغادرة، هجم على وأوقعنى على الأرض يقبلنى من كل جسدى وهو يلهث، حاولت التملص منه بلا جدوى حتى أغشى على من التعب وعنف المقاومة.
- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- أفقت من إغمائى فوجدت حمالة صدرى وملابسى الداخلية ممزقة وملقاة على الأرض بجانبى، إنخرطت فى بكاء حاد فقال:
- لماذا تبكين وأنا مستعد بأن أصلح ما إنكسر وأتزوجك.
- وهل تزوجك؟
- ظل يتهرب ويراوغ حتى بدأت علامات الحمل تظهر على، تزوجنى عرفياً، وسافرت على نفقته الى الإسكندرية أقيم بشقة يمتلكها هناك حتى موعد الولادة.
- وهل معك ورقة الزواج العرفى ؟
- نعم والطفل مسجل بأسمه بشهادة الميلاد.
- وهل لديك مانع بأن تدلى بتلك الشهادة أمام النيابة.
- نعم لا مانع لدى.
- وماذا دعاك للحضور إلينا يا سيدة نور ؟
- لقد كانت الفتاة التى حاولت قتلة شجاعة وسعيدة الحظ فلا تعلم حجم المعاناه التى عانيتها تلك الأيام بعد أن هتك عرضى، لقد قضى الأستاذ عثمان على مستقبلى وحطمنى وأريد أن أساعد من أخذت بثأرى.

توجه الأستاذ جمال المحامى الى سراى النيابة ومعه الفتاة وأدلت بكل ما قالتة لرئيس النيابة.

وجاء يوم النطق بالحكم وتسبقه المرافعة النهائيه لكل من الدفاع وممثل الإدعاء.

كانت قاعة المحكمة ممتلئة بالشهود الذين سبق وأن أدانوا المذكور فى التحقيقات أمام النيابة وكذلك مندوبى الصحف والمجلات وعائلة بسمة.

دخلت بسمة قفص حجز المتهمون داخل القاعة وعيناها مغرورقة بالدموع.

بدأ ممثل الإدعاء كلمته وإتهم بسمه بالشروع فى قتل أحد رموز الصحافة والتى ساعدها فى شهرتها وبناء مستقبلها وطلب توقيع أقصى العقوبة.

وقف الأستاذ جمال المحامى فى مواجهه القضاة يرتدى ثوب المحاماه الأسود ونظر الى القضاة وإلى بسمة ومرت لحظة صمت قبل أن يقول قال :

يجب ألا ننظر لأى جريمة من مفهوم وضع ووظيفة كل من المتهم والمجنى عليه فى المجتمع،ولكن من منظور أسباب وقوع الجريمة، المجنى عليه عضو هام فى بلاط صاحبة الجلالة وهى السلطة الرابعة ولها ولأعضائها كل إحترام وتبجيل وهى تقود المجتمع الى طريق الصواب ولكن عندما يكون أحد أعضائها من الفاسدين والمفسدين ولا يكون أسوة حسنة فيجب إعادة التفكير وقد شهد كثير من الشهود على جرائم الفساد والإفساد والإبتزاز التى إرتكبها المذكور وجريمته ضد موكلتى والتى كانت تدافع عن شرفها وقد أعطاها القانون حق الدفاع عنه.

أما موكلتى والتى مازالت فى بداية حياتها الفنية فقد شهد كل الشهود على سمعتها الطيبة وأخلاقها الكريمة وقد راودها المجنى عليه عن نفسها من قبل ولما طردته من منزلها قام بحملة إعلامية ضدها فى جريدته ليلوث سمعتها ويشكك فى موهبتها وأقر زملائه بأن تلك الحملة كانت بناء على أوامره وتعليماته، فهل لو وقفت فتاة ضعيفة تدافع عن شرفها الذى يريد أن يلوثه أحد الفاسدين تكون جانية ومتهمة، أن عدالة القانون يجب أن تقتص من الذئب وليس

من الحمل. أنا أثق فى عدالة المحكمة لأنها ستعيد الحق الى أصحابه وتقتص من المجرم.

بعد أن إنتهت مرافعة الأستاذ جمال، إشتعلت قاعة المحكمة وضجت بالتصفيق ورفع القاضى الجلسة للتداول.

ذهبت الى بسمة وأمسكت بيدها أطمئنها ووقفت هى تتلو آيات من القرآن الكريم وترجو من الله أن ينزل علينا رحمته.

مرت الدقائق التى سبقت النطق بالحكم ثقيلة وكأنها الدهر، وساد قاعة المحكمة حديث يجرى بين من حضروا.

نادى الحاجب... محكمة.. فوقف كل من بالقاعة.

صعد القاضى ومستشاريه الى أماكنهم على المنصة وساد الصمت كل القاعة ثم نادى القاضى على بسمة وقال :

إن الصحافة هى السلطة الرابعة بعد السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية وهى قوة بيد أعضائها ويجب ألا تكون بيد فاسد أو مفسد والقانون أعطى الحق لكل إنسان فى الدفاع عن النفس والمال والعرض وعندما يقوم فرد من المجتمع بالدفاع عن نفسه أو ماله أو

عرضه فلا يجرمه القانون لأنه حق من حقوقه التى أقرتها جميع التشريعات وجميع الأديان.

والقضيه أمامنا بشهودها ووقائعها تبين بأن المتهمة عندما ضربت المجنى عليه بطفايه السجائر وهى الآله التى وقعت بيدها عندما كانت تدافع مستميتة عن شرفها بعد أن طرحها المجنى عليه أرضا يريد إغتصابها، فما كانت معتدية على المجنى عليه بل كانت ضحية ولذا حكمت المحكمة بالبراءة على المتهمة بسمة صالح إسماعيل وأن يخلى سبيلها من قاعة المحكمة.

ضجت القاعة بالهتاف بعدالة المحكمة وتجمع المصورين حول قفص المتهمين وكثير من المواطنين يهنئون بسمة على البراءة.

رغم صعوبة الأيام التى مرت على بسمة أثناء المحاكمة ولكنها ساهمت فى زيادة شهرتها وأصبحت مثلاً للفتاة التى تدافع عن شرفها وكرامتها، وأفاض بعض النقاد فى موهبتها وحازت أعمالها سواء المسرحية أو السينمائية على إهتمام المشاهدين.

كنت فى هذه الفترة لا أهاتف بسمة ولكن أتركها تهاتفنى هى لو كان لديها وقت خالى أو يسمح مزاجها بالكلام.

ذات يوم وبعد صلاة الفجر بقليل رن جرس الهاتف مرة واحدة وصمت بعد ذلك، قمت وجلاً لأرى من يطلبنى بهذه الساعة المتأخرة تفحصت الهاتف فوجدت رقم بسمة، طلبتها وأنا قلق ومنزعج وقلت عندما ردت :

- هل حدث شىء، فقالت :
- آسفة على مهاتفتك فى هذا التوقيت.
- هل أنت بخير؟

- نعم كل شىء بخير ولكنى أفتقدك وأريد أن أراك.
- الآن ؟
- بالطبع لا ولكن حين تستطيع.

تقابلنا فى مكاننا المفضل بمحل جروبى سليمان باشا بعد المغرب،قبلتنى حين وصلت ورأيت هالات سوداء تحت عينيها فقلت:

- هل كنت مؤرقة بالأمس ولم تستطيعى النوم؟
- نعم إلى حد ما.
- وما السبب هل وقعتى فى مشكلة ؟ وما الذى يشغل بالك ولم تستطيعى النوم منه ؟ نظرت الى فاحصة وقالت :
- حمزة.. هل تحبنى، كدت أقعت على ظهرى من الضحك وقلت لها :
- هل تطلبينى فى الفجر وتقابلينى اليوم حتى تسألينى هذا السؤال يا بسمة؟
- نعم.
- وماذا يقول لك إحساسك ؟

- لا أدرى، أحياناً أشعر بأنك قريب حتى أكاد أشعر بأنفاسك وأحيان أخرى أشعر بأنك بعيد عنى بعد السماء عن الأرض.
- ما كنت أبداً بعيد يا بسمة ولا كنت أنت بعيدة، فأنت معى فى صحوى ومنامى وأمسى وغدى.
- وأنا أشعر معك بالأمان وأكون على سجيتى وأنا معك، وكأنى أتحدث الى نفسى بدون رتوش أو كلام منمق أو مجاملات زائفة.
- فأين هى المشكلة؟
- هل تتزوجنى يا حمزة، لم أرد للحظات، فقالت :
- هل تفاجأت أو قلت شىء لا يروقك؟
- لا ولكن كنت أريد أن اطلب أنا منك أولاً وقد سبقتينى، أضاء وجهها الجميل إبتسامة رائعة وقالت :
- هيا أطلب ؟
- هل تقبلين الزواج منى يا بسمة.
- نعم.. نعم..،نعم، أقولها بكل لغات العالم يا حمزة، وتقولها كل ذرة بجسدى.
- أمسكت بيدها وقبلتها وقلت :

- لن نفترق أبداً يا بسمة ولن تتوهى منى أبداً.
- كفى ما ضاع من عمرنا ونحن بعيدين عن بعض.

أفقنا على حضور مدير المحل ومعة عامل يحمل سلة مغطاة، وقال لبسمة :

- أتيت لتتذوقى بسكوت العلبة من إنتاج جروبى، ووضع السلة على المنضدة.
- قفزت بسمة فرحاً وتناولت البسكوت تتذوق طعمه وهى مغمضة العينين وقالت لمدير المحل :
- هذا البسكوت رائع وشكراً على إهتمامك وهل من الممكن أن تعبىء لنا سلتين منه؟، فقال تحت أمرك يا هانم.

غادر المدير فقالت، البسكوت جميل جداً ولكن يا حمزة فى الحقيقة ورغم جمال هذا البسكوت ولكن بسكوت عم محروس كان أجمل، فقلت :

- ماكنا نتذوقه يا بسمة ونحن صغار لم يكن طعم البسكوت ولكن طعم الأيام الجميلة بقلبنا الخالى من الهموم والذكريات الجميلة

والأحلام البريئة التى حفرها في وجداننا عم محروس بائع البسكوت وعم شعبان بائع الجيلاتى وغيره.

- أنا سعيدة لأننا ما زلنا نعيش فى أحلامنا ونتذوق طعمها مع البسكوت.
- نعم صدقت.

أجلس دوماً أمام النافذة أجتر الذكريات وأستعيد حلو الأيام ومُرَّها بعد أن وَلّى ربيع العمر ووهن العظم.

أتذكر الأيام والأشخاص، الآمال والأحلام، الصغيرة منها والكبيرة، التى تحقق منها والتى ذهبت أدراج الرياح وأتذكر ما عانيته من آلام، صبرت على بعضها ولم أتحمل البعض الآخر.

المؤلف

دار روفنتوج للنشر الإلكتروني